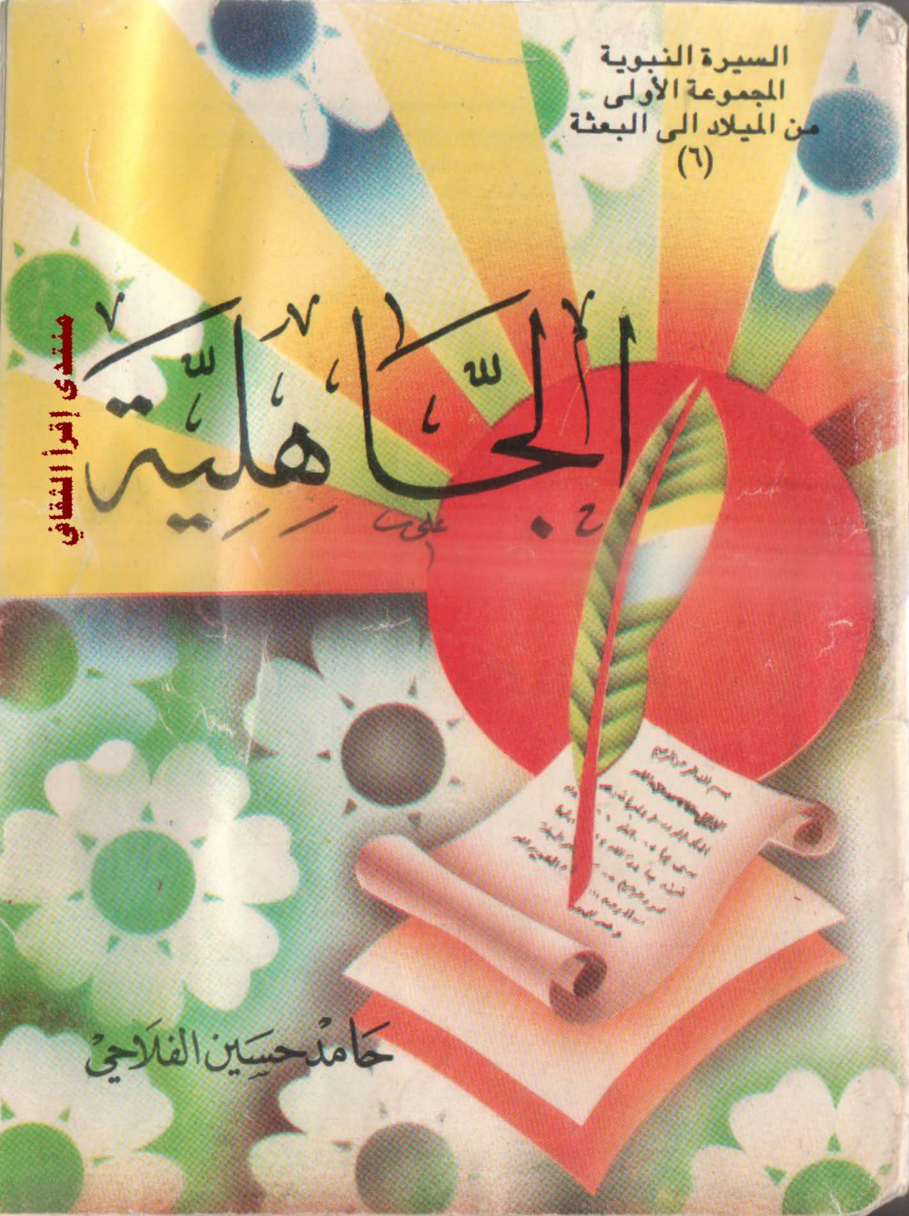

السيرة النبوية
المجموعة الأولى
من الميلاد الى البعثة
(٦)
الجاهلية
حامد حسين الفلاحي
منتدى إقرأ الثقافي

السيرة النبوية
المجموعة الأولى
من الميلاد الى البعثة
(٦)

الجاهلية

حامد حسين الفلاحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الجاهلية

عرفت الفترة التي سبقت ظهور الاسلام باسم(الجاهلية) ، اي : جهل الانسان بحقائق الكون والخلق والحياة والموت ، وقد كان العرب يعبدون الاصنام ، وهي تماثيل من الحجارة يصنعونها بايديهم ، ثم يتخذونها آلهة من دون الله ويزعمون أنها تقربهم الى الله !

اكثر تلك الاصنام كانت موضوعة في الكعبة ، وكان لكل قبيلة صنم تعبده ، تعظمه وتطوف به وتقدم له الذبائح وتتوجه اليه بالدعاء ، وهو في حقيقته حجاره صماء ، لاتضر ولا تنفع ، ولا تسمع ولا تجيب !

واهل الجاهلية كانوا يشربون الخمر ، وقد فشا(١) بينهم الزنا ، وكانت بيوت البغاء ترتفع فوقها رايات خاصة ، وكانت بعض قبائل العرب تئدُ البنات ، فكان اذا ولد لاحدهم انثى خرج بها الى الصحراء ، ثم حفر لها حفرة ، وضعها فيها وأهال عليها التراب دون ان تأخذه بها رأفة او يتحرك قلبه لصرخاتها !!

(١) فشا : انتشر ، شاع



قال الله تعالى : (وإذا الموءودة سئلت ۝ بأي ذنبٍ قُتِلتْ ۝) ؟

وتكاد الحروب لا تنتهي بين القبائل ، تذكيها[٢] اسباب واهية[٣] ، مثل المنافسة على مصادر الماء ومنابت الكلأ[٤] !

بعض حروب الجاهلية استمرت سنوات طويلة ، منها (حرب البسوس) التي دامت اربعين عاماً !

وفي المجتمع الجاهلي كانت العبودية في صورتها الكريهة ، وكان السادة ينظرون الى العبيد على انهم خلق آخر ، اقل شاناً وادنى منزلة ، وكان الرقيق يباع ويشترى ، وله اسواقه المعروفة ، وكان السيد يترفع عن مجالسة عبيده او مشاركتهم الطعام والشراب .

وهكذا في كل مكان ، لا ترى الا الفساد والضياع ، لقد اكل السوس والعفن في اسس المجتمع الجاهلي حتى اوشكت على الانهيار ، ووقفت كل الاديان التي سبقت

(٢) تذكيها : تشعلها وتزيدها اتقاداً

(٣) واهية : ضعيفة

(٤) الكلأ : العشب



الاسلام بما شابها[٥] من التغيير والتحريف ، عاجزة تماماً عن حل مشكلات المجتمعات الجاهلية وتصحيح المسار الخاطىء للانسان .

وخلاصة القول : ان الانسان كان على شفا حفرة[٦] من النار ، وليس ثمة قانون ينظم الحياة ويحفظ الحقوق ويصون كرامة الانسان ، وان المجتمع الجاهلي كان بحاجة الى رسالة جديدة ونبي جديد ، يخرج الناس من ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ، ومن عبادة الانسان للانسان الى عبادة الله تعالى ، ومن ظلمات القوانين والاعراف الى عدل الاسلام ، ومن ظلمات الجاهلية الى نور الايمان .

ونحن حين نتأمل صورة المجتمع الجاهلي ، وهي كما يصفها الله تعالى :«ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس» [٧]

فإننا بذلك نستطيع ان نفهم لماذا بعث خاتم الانبياء : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . لقد كان المجتمع الجاهلي مقسماً الى طبقتين : السادة والعبيد

(٥) شابها : خالطها وعكّر صفاءها
(٦) شفا : طرف
(٧) سورة الروم - الآية ٤١

طبقة متخمة بالاموال ، وأخرى لا تملك قوت يومها ، قلة حاكمة تفرض سلطانها بالقوة ، وقطيع من العبيد يسير في ذلة وخضوع ، إنها مجتمعات لا تعرف إلا لغة القوة ، قد تقطعت فيها كل الروابط الطيبة التي تصل الانسان باخيه الانسان !

قال الشاعر الجاهلي :

ومنْ لم يذُد[8] عن حوضه بسلاحه
يُهدَّم ومنْ لايظلم الناسَ يُظلَمِ

لقد كان العالم يغشاه الظلام ، وكان الاسلام هو الشمس التي اشرقت معلنة ميلاد فجر جديد ، يمنح الناس-والمستضعفين منهم خاصة - الأمن والحرية ، بعد معارك كثيرة مع النفس البشرية وتصوراتها الخاطئة ومعتقداتها الوثنية وأخلاقها المتهافتة الساقطة !

(٨) يذود : يدافع

الباحثون عن الحقيقة

وكان هناك نفر من العرب ، علموا ان الاصنام أباطيل مفتراة[٩] ، ورأوا في الارض ، وفي السماء ، وفي انفسهم آيات واضحة تدل على خلق مهيمن[١٠] قدير !

أنكر هؤلاء النفر على قومهم عبادة الاصنام ، تلك الحجارة الصماء التي لا تضر ولا تنفع ، وخرجوا في رحلة البحث عن الحقيقة :حقيقة هذا الوجود ، من خلق الانسان ؟ من خلق الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب ؟ ولماذا خلق الانسان ؟ وهل هناك حياة أخرى بعد الموت ؟

وقد سُمي أولئك النفر بـ(الأحناف) .

ومن الاحناف : زيد بن عمرو بن نفيل ، الذي خرج من مكة الى بلاد الشام ، وهناك التقى بأحبار اليهود ورهبان النصارى ، وحدثوه عن نبي يخرج في بلاد العرب قد أظل[١١] زمانه ، يبعثه الله تعالى بالحنيفية السمحة ، دين ابراهيم عليه السلام .

(٩) مفتراة : مكذوبة

(١٠) مهيمن : مسيطر

(١١) أظل : اقترب



تقول أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما : (رأيت زيد بن عمرو بن نفيلٍ قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول :يا معشر قريش : والله ما منكم على دين ابراهيم عليه السلام غيري)[(١٢)]

وكان زيد لا ياكل الميتة ، ولا ياكل مما ذبح للاصنام ، وكان يقول : (الشاه خلقها الله وانزل لها من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله !؟[(١٣)] .

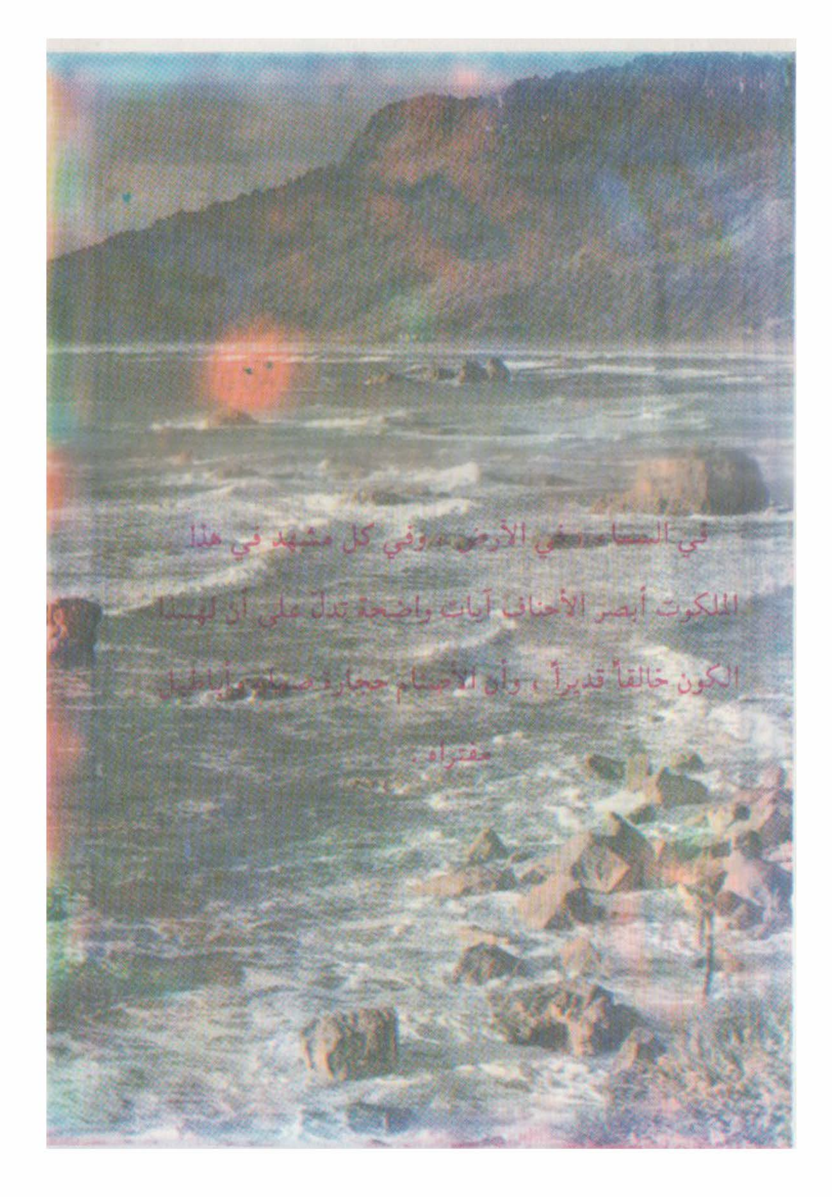
— وفي زيد بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يأتي يوم القيامة أمةً وحده) [(١٤)]

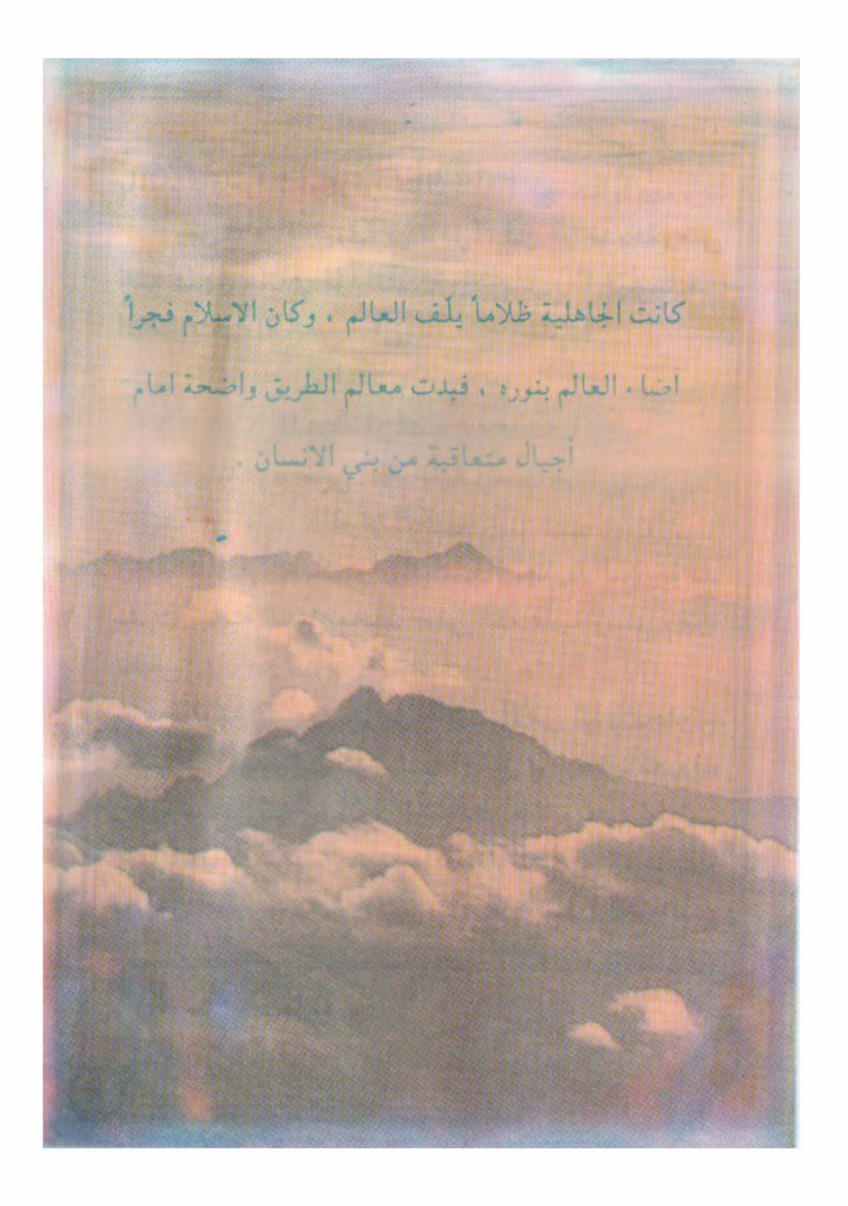
وذات يوم ، كان زيد بن عمرو يغذُّ الخطى نحو مكة ، يحمل في يده عصاه ، ويحمل في قلبه شوقاً إلى لقاء النبي المنتظر :خاتم الانبياء ، ولكن بعض اللصوص اعترضه قبل ان يدخل مكة ثم ....قتلوه !!

وكان منهم(قس بن ساعدة الأيادي)الذي كان يخطب الناس في سوق عكاظ قائلاً ، متسائلاً عن سر الموت والفناء :(مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا

(١٢) (١٣) (١٤) رواها البخاري - كتاب مناقب الأنصار




في السماء وفي الأرض ، وفي كل مشهد في هذا
الملكوت أبصر الأحناف آيات واضحة تدلّ على أن لهذا
الكون خالقاً قديراً ، وأن الأصنام حجارة صماء وأباطيل
مفتراه .


كانت الجاهلية ظلاماً يلف العالم ، وكان الاسلام فجراً
اضا ء العالم بنوره ، فبدت معالم الطريق واضحة امام
أجيال متعاقبة من بني الانسان .

بالمقام فأقاموا ؟ أم تُرِكوا هناك فناموا ؟)

ومن الأحناف(ورقة بن نوفل)، ابن عم خديجة رضي الله عنها ، الذي قرأ التوراة والانجيل وما فيهما من البشارات ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

البشارات ببعثته

«صلى الله عليه وسلم »

القرآن الكريم ...

ذكَر القرآن الكريم ان الكتب السماوية السابقة قد بشرت ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلُ لهم الطيبات ويحَرّمُ عليهم الخبائثويضعُ عنهم إصرَهم والأغلالَ التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه[١٥] ونصروه واتبعوا النورالذي

(١٥) عزروه : عظموه ووقروه



أنزل معه اولئك هم المفلحون*)[16]

وقال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام :

(ومُبَشراً برسول يأتي من بعدي اسمهُ أحَمد)[17]

أم المؤمنين صفية

رضي الله عنها

وتحَدثنا ام المؤمنين صفية بنت حُييّ بن الأخطب زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ابوها من احبار اليهود الذين قرأوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل ، وهم كما وصفهم الله تعالى في القران الكريم :

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون ۝)[18] أي :ان الرهبان والاحبار لو رأوا النبي صلى الله عليه وسلم لعرفوه كما يعرف أحدهم ولده ، لما قرأوه في كتبهم من صفته وخَلقه وخُلقه !

تقول صَفية رضي الله عنها :

(١٦) سورة الاعراف - الآية ١٥٧
(١٧) سورة الصف - الآية ٦
(١٨) سورة البقرة - الآية ١٤٦

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء غدا عليه أبي (حيي بن أخطب) وعمي (أبو ياسر) مغلسين[١٩] ، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس ، فأتيا كالين[٢٠] كسلانين ساقطين يمشيان الهُوينا[٢١] ، فهششت إلَيهما[٢٢] فما التفت إليَّ احد منهما ، مع ما بهما من الهم ، فسمعت عمي (أبا ياسر) يقول لأبي :

- أهوَ هو[٢٣] ؟ أي المبشر به في التوراة .

قال : نعم والله .

قال : أتثبّتّهُ وتعرفُه ؟

قال : نعم

قال : فما في نفسكَ منه ؟

قال : عداوته والله ما بقيت .

(١٩) مغلسين : خرجوا عند الغلس

(٢٠) كالين (تعبين) .

(٢١) يمشيان الهوينا : يمشيان ببطء وكسل .

(٢٢) هششت اليهما : تبسمت واستقبلتهما بوجه طلقٍ .

(٢٣) أهوهو ؟ : هل هو النبي الذي نعرف صفته ؟



عبد الله بن سلام

رضي الله عنه

وكان عبد الله بن سلام حَبْراً عالماً من أحبار اليهود ، كان يعمل في بستان له وقد اعتلى نخلةً حين قدم رجل يقول :

– لقد نزل محمد في قباء !

وحين سمعَه عبد الله قال :

– الله اكبر !

فقالت له عمته وكانت تجلس في ظل النخلة :

– خيبك الله ، والله لو سمعت بموسى قادماً مازدتُ !

فقال عبد الله :

– أي عمة ، هو والله أخو موسى ، بُعثَ بما بُعثَ به .

قالت :

– فذاك إذن .

ثم قدم عبدالله على رسول الله فأسلم ، وعاد إلى أهلهِ فدعاهم إلى الاسلام فأسلموا .

النجاشي ملك الحبشة

وقد هاجر اليه المسلمون من مكة فراراً بدينهم ، فأرسلت قريش في طلبهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، فكان مما قاله النجاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(أشهد أنه رسول الله ، وأنه المُبَشَّرُ به عيسى في الانجيل) .

وكان النجاشي نصرانياً قد قرأ الانجيل .

هرقل ملك الروم

سأل هرقل أبا سفيان - وكان في رحلة الى بلاد الشام-عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نسبه وخلقه ودينه ومايدعو اليه ، وكان آخر ماقاله هرقل :

(وقد كنت اعلم انه خارج ، لم اكن اظن انه منكم ، فلو اعلم اني اخلص اليه(٢٤) لتجشّمتُ لقاءه(٢٥) ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)(٢٦)

وهرقل كان نصرانياً من اهل الكتاب .



(٢٤) أخلص : أصل

(٢٥) تجشمت : تحملت متاعب السفر

(٢٦) رواه البخاري - كتاب بدء الوحي

من الميلاد الى البعثة

الدرس والحصاد

١- شاء الله تعالى لنبيه ان يولد يتيماً ، وان ينشأ بعيداً عن ترف الغنى وميوعته ، واليتيم يحمل من اعباء الحياة اكثر مما يحمل أقرانه ، ومن هنا اكتسب القوة والصلابة والقدرة على التحمل ، والارادة التي لاتلين .

٢- وفي بادية بني سعد نشأ النبي صلى الله عليه وسلم في جو تجاوبت معه فطرته الصافية ، فراح يتأمل في آيات الله تعالى المبثوثة حوله ، وفي قلبه اسئلة كثيرة عن الاسرار المخبوءة في هذا الملكوت الواسع . لقد منحته طبيعة البادية وطبيعة الحياة فيها فطرة صافية نقية ولسانا عربياً مبيناً !

٣- وفي رحلتيه الى الشام تجاوز حدود الصحراء ، وفتح عينيه على عالم جديد يضطرب حركة ونشاطاً ، وحياة اخرى تختلف عن حياة الصحراء وسكونها .

٤- وفي حرب الفجار شهد تجربة الحرب والقتال .

٥- وفي (حلف الفضول) شهد الحكم بالعدل ونصرة المظلوم والوقوف بوجه الظالم وانتزاع الحق منه .

٦- وفي (يوم التحكيم) ألهمه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب في وضع الحجر الاسود ، فأخمد بحكمه ذاكَ حرباً اوشكت ان تقوم !

٧- ثم مارس (مهنة الانبياء) فرعى الغنم في شعاب[٢٧] مكة وأوديتها ، ليستلهم من تلك التجربة الصبر والحكمة .

(٢٦) شعاب : مفردها شعب ، وهو الطريق بين جبلين

٨- وفي مجتمعه(الجاهلي)رأى طبيعة العلاقة بين السادة والعبيد ، بين الغالب والمغلوب ، بين القوة والضعف، ورأى العوَجَ واضحاً في كل جوانب الحياة ، فعبادة الأصنام والخَمر والزنا ووأد البنات والفواحش غدت إلفا[٢٧] وعادت مستحكمة .

٩- وقد رافقت حياته قبل البعثة الكثير من ارهاصات النبوّة ، بدءاً بالنور الذي صاحب ميلاده ، وبركته في بيت حليمة السعدية ، ثم حادثة شق الصدر في بني سعد ، وحديث الراهب(بحيرا) ، ثم سلام الحجر عليه ، قال صلى الله عليه وسلم :

(إني لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم عليَّ قبل ان أبعثَ ، إني لأعرفه الآن)[٢٩]

١٠- وقد اختار الله له امرأة من خير نساء قريش نسباً وشرفاً ، واسته بنفسها وأموالها في ايام الدعوة العصيبة ، وكان ذلك من تقدير الله الحكيم الخبير .

١١- وفي كل حياته قبل البعثة كان(محمد بن عبد الله)صلى الله عليه وسلم(الصادق الامين)، المشهود له بين قومه بالصدق والامانة والخلق العظيم .

١٢- وطيلة اربعين عاماً كان محمد صلى الله عليه وسلم يُصنعُ على عين الله ، قلباً نقياً طاهراً معصوماً ، وسط مجتمع ملوث بالخطأ والخطيئة .

(٢٨) إلفاً : ماألفه الناس واعتادوا عليه
(٢٩) رواه مسلم - كتاب الفضائل ، والترمذي - كتاب المناقب ، وقال حديث حسن غريب .

اقرأ في هذه المجموعة

قريبا إن شاء الله تعالى
المجموعة الثانية
من البعثة الى الهجرة

طبع بموافقة وزارة الاعلام ٢١٤
في٢٥/ ٥/ ١٩٩٤

مطبعة اليرموك